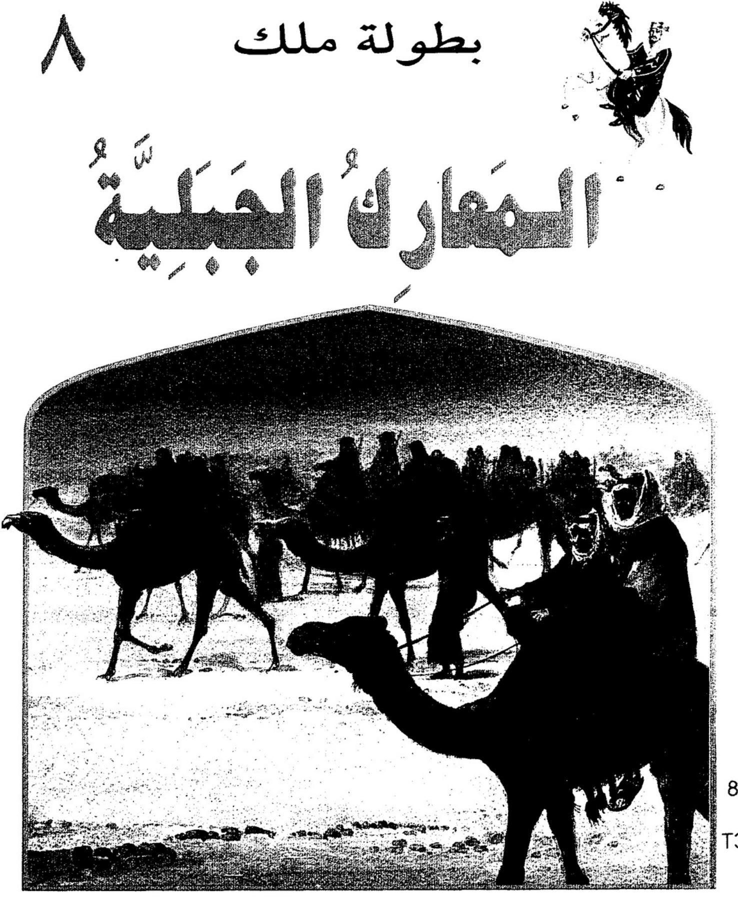
٨

بطولة ملك

المَعَارِكُ الجَبَلِيَّةُ



د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

مكتبة العبيكان

بطولة ملك

(٨)

المَعارِكُ الجَبَلِيَّةُ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثُّنَيَان

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثُنيّان، عبد العزيز بن عبد الرحمن

المعارك الجبلية. - الرياض.

٢٨ص، ١٧ X ٢٢ سم (سلسلة بطولة ملك؛٨)

ردمك: ٠-٤٧٩-٢٠-٩٩٦٠

١- عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملك السعودية

٢- السعودية - تاريخ الملك عبد العزيز ٣- كتب الأطفال - السعودية

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٩٥٣،١٠٥ ١٨/٤٠٨٩

ردمك: ٠-٤٧٩-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٨/٤٠٨٩

الطبعة الأولى

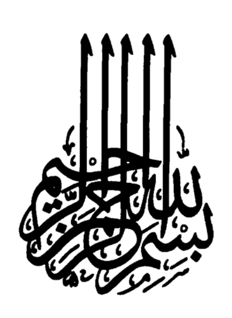
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

المَعارِكُ الجَبَلِيَّةُ

. . . ووصلَ آلُ عائض إلى الرياض، وقالُوا للملك البطل:

يا عبدَ العزيز، عادَيْنَا الناس، ونخشَى إذا أمّرتَنا أن يقومُوا علينا، ولكنَّنَا نكونُ معاونينَ لمن تؤمِّرون، أيّدكُم اللهُ.

ولا تقصِّروا علينا من جهة الدنيا.

حديثٌ مباشرٌ، وحوارٌ بينَ الملك وآل عائض حينَ جيءَ بهم إلى الرياض في المرة الأولى.

وأكرمَهم مُقيلُ العَثَرات، ورجلُ المكارم، وأمرهم بالطاعة والالتزام بالشروط التي تقيَّدَ بها أجدادُهم لأجداده، وتجاهل ذنوبهم، وتناسَى هفواتهم.

تلكَ الجبالُ الشاهقةُ، وتلك الربوعُ الساحرةُ، وذاكَ الإقليمُ الجبليُّ

الناعمُ الهواء، الخشنُ الطبيعة، الغنيُّ بأشجاره، الساحرُ باخضراره، كانتْ له علاقةٌ بالرياض، وارتباطٌ بآل سعود.

ولقَد حَنَّ ساكنو ذاك الإقليم، وصَوَّتَ قاطنو تلكَ الديار، يريدونَ العودةَ إلى السيادة السعودية، وينشُدونَ القيادةَ المتألقةَ في الرياض.

إنهم يسمعونَ الأخبارَ التي يتناقلُها الرواةُ عن عدالة الملك عبد العزيز، ويعرفونَ قوتَه التي يتحدَّثُ بها الركبانُ.

إنها سلسلةٌ من الجبال المنيعة، وخيوطٌ من المنحدرات والمرتفعات، تمتدُّ من الحجاز إلى اليمن.

إن ذلكَ الإقليمَ تسكنه قبائلُ متعددةٌ عاشت سنوات من الخوف، وأمضَتْ فترات من تقلبات الزمان، وتعاقُب الوُلاة، وتناحُر الرجال.

خوفٌ وقلقٌ، ورعبٌ وفزعٌ، البنادقُ على الأكتاف محمولةٌ، والخناجرُ في الأوساط مربوطةٌ.

هزةُ الأشجار تخيفُ، وانحدارُ الأحجار يُرعبُ، وحركةُ الحيوان تفزعُ.

إنهم يَنشُدونَ الأمانَ، ويطلبونَ السلمَ والسلامَ، إنهم أحزابٌ متباينةٌ، وقبائلُ متفرقةٌ، قد ملّوا الحروبَ، وسئموا الفتنَ.

ولقد اجتمعتْ عليهم عَوادي الزمن المرعبةُ، فقرٌ وخوفٌ، وجهلٌ وعداءٌ، وثأرٌ وقتلٌ.

وتطلَّع القومُ إلى المنقذ البطل، ورَنَتْ أبصارُهم إلى الملك العادل، واشرأبَّتْ أعناقُهم للرياض وأسَدها.

وجاءتْهُم الأخبارُ تتسابقُ عن هزيمة عبد الله بن الحسين في تربةَ، وكيفَ أمَّنَ الملكُ عبدُ العزيز ذلك الإقليمَ؟ وكيف هَدَّأَ تلك المنطقة؟

ووصلتْ إليهم الرواياتُ عن الساحل الشرقيِّ، وسيطرة الملك عبد العزيز عليه، ورحيل الأتراك عنه. وعلمُوا بأفُول نَجم آل رشيد، وتقهقُرهم، وتراجُع سلطانهم، وأيقَنُوا أنَّ الأملَ بالله، ثُم بالملكِ عبدِ العزيز، وجزمُوا بأنه الفارسُ القادمُ.

ورنَا الملكُ الظافرُ إلى تلكَ الديار، وعقدَ العزمَ على توحيدها، وصمَّمَ علَى إرجاعها، وشرعَ يضعُ الخُطَّةَ، ويفكِّرُ في الوقت.

إنهُ يعلمُ أنَّ ذلكَ الإقليمَ كانَ جزءًا من مُلك آبائه وأجداده، ولا بدَّ من استرداده. لقد كانتْ تلكَ المنطقةُ جزءًا من الدولة السعودية الأولى، وذلكَ أن الأميرَ محمدَ بنَ عامر المعروف بـ (أبو نقطة) قد تأثَّرَ بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب. وقد زارَ الدرعيةَ في عام ١٢١٥هـ مع أخيه عبد الوهاب، وأسندَ إليهما الإمامُ عبدُ العزيز بن محمد مهمةَ نشر الدعوة في عسير، وحينَ وصلَ الأخَوان إلى عسير وشرعَا في الدعوة وقفَ في وجهيهما الأميرُ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ من آلِ يزيدَ.

واستنجدَ المذكوران بالدرعية، فأرسلتْ إليهما جيشاً استطاعَا به أن ينتصرَا على خصومهما، وأن يقتلا ذلك الأمير، وأصبحَ محمدُ بنُ عامر أميراً على المنطقة منذ ذلك الوقت، سنة ١٢١٦هـ.

وصارَ من ولاة آل سعود، وأخذَ يحاربُ خصومَ الدعوة

السعودية، سواءً أكانوا في تهامة أم في الحجاز. واتخذَ بلدة (طبب) مركزاً لحكمه.

و دارت الأيامُ وظلّتْ دعوةُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب تنمُو، وصارَ أنصارُهَا يتزايدونَ.

وظلَّ أبناءُ المنطقة هناك يدينُونَ بالولاء والطاعة لآل سعود في ظلِّ أطوارهم المتعاقبة.

فذلكَ الأميرُ عائضُ بنُ مرعي - الذي امتدَّ حكمُه إلى ما يقاربُ أربعةَ وعشرينَ عاماً - يعدُّ حكمَه امتداداً لحُكم آل سُعود في إقْليم عَسير؛ وحينَ ينتصرُ في سنة ١٢٦٩هـ على الجيوش المصرية يُرسلُ إلى الإمام فيصل بن تركي -رحمَهُ الله- جَد الملك عبد العزيز رسالةً يبشِّرُه فيها بالنصر، ويبعثُ بهدية، ومعَها قصيدةٌ لقاضيهم عليِّ بن الحسين الحفظيِّ يقولُ فيها:

وَنادِ بأعلَى الصوتِ بُشرَى لفيصلٍ

ومن نَسْلِ سادات الملوك مُسدّد

ويصلُ الوفدُ إلى الرِّياضِ ومعَه الهديةُ والقصيدةُ، ويرحِّبُ بِهِمُ الإمامُ، ويفرحُ لانتصارهم.

ويبادرُ شعراء الإمام بالرد على القصيدة، ويتمُّ اختيارُ قصيدة الشاعر ابن مشرف لإرسالها معَ هدية الإمام فيصل للأمير عائض بن مرعي.

وبعد وفاة الأمير عائض بن مرعي في عام ١٢٧٣هـ، خلفه ابنُه محمد، الذي كان قوياً مرهوبَ الجانبِ، حتى أنه بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، واختلاف أبنائه من بعدِه، توجه الأميرُ سعود بن فيصل إلى عسير، يطلبُ من الأمير محمدِ بن عائض النجدةَ على أخيه عبدالله، ولكنه لم يُنجده، ولم يدخل في الخلافات التي نشأت بين أبناء الأمير فيصل بن تركي.

وصار الرجلُ في عسير يُوسِّع إمارتَه، حتى أطاعهُ أهلُ المنطقة، إلا أن تركيا أخذت تحسب له ألفَ حسابٍ، وصممت على السيطرة على ذلك الإقليم. وتوالَتْ قوّاتُها، وتكبَّدت خسائرَ فادحةً، وأخيراً تمكن رجالها من السيطرة على الإقليم، وقتلُوا الأميرَ محمدَ بن عائض،

وخضعتْ عسير للأتراك. وأصبحتْ تَحْتَ ولايتهم، وذلكَ في عام ١٢٨٩هـ، إلاّ أن الوضعَ الأمنيَّ لم يستقرَّ؛ فقد سادَ الخوفُ، وكثُرَت الانتفاضاتُ، وأصبحَ كلُّ إنسان يخافُ على نفسه وأهله وأملاكه.

وبقيَ لآل عائض نفوذٌ ومكانة؛ فقدْ حافظَ الولاةُ الأتراكُ علَى نفوذ آل عائض، وظلُّوا يستعينونَ بهم.

إلاّ أنَ المنطقةَ ظلَّتْ تنتفضُ علَى الأتراك بين الفَيْنَة والأخرَى، وصارَ النزاعُ علَى أشُدِّه، فطَوْراً ينتصرُ هؤلاء، وطوراً أولئك.

ثمَّ قامت الحربُ العالميةُ الأولَى، وانتهتْ بهزيمة تركية معَ المنهزمين، واضطُرَّ الأتراكُ للانسحاب من منطقة عسير عام ١٣٣٧هـ.

ووصلَت الأوامر إلى الوالي التركيِّ بمغادرة عَسير وتَسليم أمرها وذَخيرتها إلى آل عائض.

وقبلَ رحيل الوالي التركيِّ محيي الدين باشا جمعَ آلَ عائض، وأخبرَهم بوصُول الأوامر إليه بالانسحاب من عسير، وتسليم الأمر

إليهم معَ مخلَّفات الدولة جميعها من معدَّات ومنشآت.

وقالَ لهم: أريدُ قبلَ الذهاب أن أنصحَ لكُم؛ فإنَّ بلادكُم واقعةٌ بينَ عدة نيران، وكلٌّ يريدُ التهامَها.

فالإدريسيُّ في الغرب، وهو صاحبُ نُفوذ وصَوْلة، وأكبرُ أمَله أن يضمَّ إليه عسيراً.

وفي الشَّمال الحسينُ بنُ عليّ في مكةَ، ورغبتُه لا تقلُّ عن رغبة الإدريسيِّ.

وفي الشرق آلُ سعود، وأملُهم في التوسُّع كبيرٌ. وفي الجنوب إمامُ اليمن.

وأقدِّمُ لكم بعضَ الحلول، وأعرضُ عليكم آراءً لتأخذوا بأحسنها؛ حتى تستطيعُوا البقاءَ، وتضمَنُوا لبلادكم القُوَّةَ والاستقلالَ. قالُوا: وما الرأيُ؟

قالَ: الرأيُ الأولُ: أن تتَّفقُوا معَ الإنكليز؛ فإنهُم أصحابُ النفوذ الحاليِّ والسيطَرة الحقيقية، وتمتدُّ أيديهم إلى الكثير من المناطق. وليسَ هذَا الكلامُ محبَّةً لهؤلاء الإنجليز، عليهم لعنةُ الله؛ فهم أعدائي وسببُ القضاء على دولتي، ولكنه الواقعُ.

ورفَضَ آل عائض هذَا الرأيَ، وأبدَوْا أنَّهُم لن يتعاونوا مع الأجنبيِّ.

قال الوالي التركيُّ: إليكُم رأياً آخر:

الاتفاق مع الملك عبد العزيز آل سعود؛ فإنَّ مُلكه سيمتدُّ، ونفوذه سيتَّسعُ، وقوتُه كثيرةٌ، ومعنويةُ الشعب عندَه كبيرةٌ، ولهُ محبةٌ عندَهم ورهبةٌ.

وتداولَ آلُ عائض الرأيَ، وقالوا: بلادُ نَجد بعيدةٌ. ولم يوافقوا على ذلك.

قالَ لهم مُحيي الدين باشا: إذاً إليكم الرأيَ الثالثَ ولا لكم سواه.

قالوا: ومَا هوَ؟

قال : الاستقلالُ، وحصِّنوا بلادَكم، ولاتخرُجوا لغيرها، ولديكُم أسلحةٌ ومعداتٌ.

ورأى آلُ عائض هذَا الرأيَ، واتفقُوا عليه، وانتهَى اجتماعُهم معَ الوالي التركيِّ.

ورحلَ الأتراكُ وتولَّى حسنُ بنُ عليٍّ بن محمد بن عائض مقاليدَ الأمور، وكانَ قاسياً وخشناً، وحصلت بينه وبين رعاياه خلافاتٌ، ونفَرَتْ بعضُ القبائل، وأرسلَتْ وفودَها شاكيةً إلى الملك عبد العزيز؛ فذلكَ الإقليمُ كانَ خاضعاً للسيادة السعودية الأولى، وكانَ يَدينُ بالولاء لآل سعود في أطوارهم المتعاقبة، ويعلمونَ أنَّ الملكَ عبدَ العزيز يرقبُ تلكَ المنطقةَ، ويتطلّعُ لإعادتها وبسط نفوذه عليها، ويعرفون مدَى تنامي سلطات الملك عبد العزيز.

ولهذا رحَّبَ الملكُ بالوفد القادم، وأرسلَ إلى الأمير حسن وفداً من ستة علماءَ من نجد لإصلاح ذات البَيْن، ونصَحَ لهم بالمسالمة،

والرجوع إلى ما كانَ عليه أجدادُهم .

ووصلَ الوفـدُ، ورفضَ الأمـيـرُ حـسنٌ الوسـاطةَ، وردَّ الوفـدَ رداً قبيحاً. وكانَ الجوابُ: أنْ أرسَل مشطاً من الرصاص إلى الملك عبد العزيز إشارةً إلى الحرب، وقال: إذا كان ابن سعود يتدخَّلُ في شؤون قبائل عسير فسنمشي إلى بيشةَ ونستولي عليها .

وعرَفَ الملكُ عبدُ العزيز حقيقةَ الأمر ونفرَةَ هذا الأمير وجنوحَه، وأنه لن يعترفَ بالسيادة السعودية .

ولهذَا قرَّرَ إخضاعَه بالقوة، وجهَّزَ الجيشَ وأمرَه بالرحيل، وأسندَ القيادةَ إلى الأمير عبد العزيز بن مساعد .

وفي شهر شعبانَ من عام ١٣٣٨هـ، مايو ١٩٢٠م تحركَت القوةُ السعوديةُ بثلاثة آلاف مقاتل، بعضُهم من الحاضرة، وأكثرُهُم من البادية .

وسارَ المقاتلونَ إلى عسير، وحينَ وصلُوا انضمَّ إليهم من أهلها

بعضُ الموالين للحُكم السعوديٍّ.

وكانَ الملكُ عبدُ العزيز قد أمرَ قائدَ الجيش بأن يدعوَ ابن عائض للسلم أولاً، وأن يكون كمَا كانَ أجدادُه معَ السعوديينَ الأوائل.

يقولُ أحدُ المعمّرينَ المشاركين في تلك الحملة:

إن عبدَ العزيز كانَ يوصينَا بقوله: لا تتعرَّضوا لقتل كبار السنِّ الذين لا يحاربونَ، ولا تتعرَّضُوا للنساء وصغار السنِّ، ولا تدفنُوا آبارَ المسلمين، ولا تحرقُوا النخيلَ أو المزارعَ أو البيوتَ، ومَن استجاركم أجيرُوه وأمَّا من قاتلكُم فقاتلوه.

وأخذَ الأميرُ عبدُ العزيز بن مساعد بتنفيذ ما وجه إليه الملك العادل، وشَرَعَ في توجيه الرسائل إليه.

إلا أنَّ ابنَ عائضَ أسرعَ بجنوده إلى المكان الذي نزلَ فيه الجيشُ السعوديُّ، وتصادمَ الفريقان في حجْلا، الواقعة بين أبْها وخميس مشيط، وكانت الوقعةُ شديدةً.

وانهـزَم حـسنُ بنُ عـائض، وعـادَ إلى أبْهـا، وتتبـعَـهم المقـاتلونَ السعوديونَ، وحينَ اقتربَ الأميرُ عبدُ العزيز بنُ مساعد من أبها فرَّ ابن عائض، ولجأ إلى قصره في جبل حَرْملة.

ودخلَ الجيشُ السعوديُّ أبْها دونَ مقاومة تُذكَر، ثم واصلَ عملياته العسكريةَ، حتَّى استكمل توحيدَ بلدان المنطقة.

وحينَ رأى حسنُ بنُ عائض أنَّه لا قِبَلَ له بالمقاومة استسلمَ معَ كبار أفراد أسرته للأمير عبد العزيز بن مساعد، واتفقوا علَى أن يذهبوا إلى الرياض لمقابلة الملك عبد العزيز والاعتذار، ووصلوا إلى الرياض، وقابلهم الملكُ البطلُ، وأكرمَ وفادَتَهم.

واتفقَ معَهم على أن يكونُوا معَه كما كانَ أجدادُهم معَ أجداده.

وفي المجلس الملكيِّ بالرياض قالَ الملكُ عبدُ العزيز:

يا آلَ عـائض، ما تخلّيْنَا عنكم أبداً، فعندَما سأل الأتراكُ الشريفَ عبدَ الله بنَ عون أن يهاجمكم ويُنكِّلَ بكم أرسلَ الشريفُ يستنجدُ

عَمِّيَ الإمامَ عبدَ الله، فأجابَه: ابنُ عائض رجلٌ منا، فكيفَ نُساعدُك عليه؟!

وعرضَ عليهم إمارةَ عسير، وقالَ لهُم: سوفَ أتركُ إمارةَ عسير لكم بالشروط التي تقيَّد بهَا أجدادُكم وهيَ الولاءُ والطاعةُ للرياض.

قالُوا: يا عبدَ العزيز، إنا نعتذرُ.

وسألهم الملكُ عن السبب.

فقالُوا: لقد عاديْنَا الناسَ، ونخشى إذا أمَّرْتَنا أن يقومُوا علينا، ولكنَّنَا نكونُ معاونين لمن تؤمِّرون. أيَّدكم الله. وسألوا الملك العطاءَ والإكرامَ.

وقد استجابَ الملكُ لمطالبهم ومنحَهم الهبات الجزيلةَ، وخصصَ لهم مرتبات شهريةً لائقةً بهم.

ثم أذنَ لهم بالعودة إلى عسير.

وعـادُوا إلى عسير ، وأقامَ محمدُ بنُ عبد الرحمن بن عـائض في أبْها .

في حين أقامَ ابنُ عمِّه حسنُ بنُ عليٍّ بن عائض مع عائلته في قصره بَحرْملة .

وعَيّن الملكُ عبدُ العزيز شُوَيْشَ بنَ ضويحي أميراً في أبهـا من قبله ، وذلك في عام ١٣٣٨هـ .

ولكنَّ حسنَ بنَ عـائض كـانَ ينوي الشرَّ ، ويَدسُّ الدسـائسَ ، ولم يحفظ الجميلَ الذي وجدَه من الملك عبد العزيز رحمَه الله .

ولهـذا شرعَ يكتبُ إلى الملك الرسائلَ تلوَ الرسائل يشكُو أمراءَه في أبها الواحدَ بعدَ الآخر .

وكانَ الملكُ قد استجابَ في بادئ الأمر لمطالبه ، فعيَّنَ بعدَ أحدَ عشرَ شهراً أميراً آخرَ خلَفاً لشويش ، هو عبدُ الله بنُ سُوَيلم ، ثمَّ بعدَ تسعة أشهُر عيَّنَ بدلاً منه فهداً العُقَيْلـيَّ .

وتوالَت الرسائلُ تشكُو وتتَّهِمُ أولئك الأمراءَ.

وفي تلكَ الأثناء كـانَ الحسينُ بنُ عليّ في مكةَ يرقبُ التطورات، ويَسُوءُه انتصاراتُ الملك عبد العزيز، وصارَ يعملُ علَى مساعدة خصومه.

ولهذا بذلَ جهوداً مكثَّفةً لإثارة فئات من قبائل عسير على الحكم السعوديّ، حيثُ أغضبه عودةُ ذلك الإقليم إلى السيادة السعودية.

واتصلَ بالأمير حسن بن عائض، وحرَّضَه على التمرُّد والعصْيان، وأمدَّه بالمال والعتَاد.

والتقت الرغباتُ، واتفقَت المصالحُ بينَ الحسين بن علي وحسن بن عائض، فوثبَ ابنُ عائض علَى أمير أبها، وحاصرَ الأميرَ السعوديَّ وحاميتَه في أبها، فاضطُرَّ الأميرُ السعوديُّ إلى الرحيل والخروج من أبها معَ أفراد الحامية.

ولما وصلَ إلى خميس مشيط حاولَ مقاومةَ ابن عائض، ولكنَّه

فشلَ في محاولته؛ فالحاميةُ محدودةُ العدد.

ووصلَت الأخبـارُ إلى الملك عبد العزيز في الرياض، فـقرَّرَ الملكُ تأديبَ أولئكَ الثائرينَ المنكرينَ للجميل.

وندبَ للمهمَّة شبلاً من أشباله، هو فيصلُ بنُ عبد العزيز، في جيش قوَامُه ستةُ آلاف مقاتل، أغلبُهم من البادية، وانطلقَ الجيشُ بقيادة الأمير فيصل، وذلك في شوال سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.

ولما اقتربَ الجيشُ السعوديُّ من عسير التحقَ بهم نحوُ أربعة آلاف مقاتل من رجال تلك المنطقة، وزحفَ الجيشُ السعوديُّ إلى خميس مشيط، حيثُ كانَ محمدُ بنُ عائض مرابطاً فيها.

وحينَ عرفَ ابنُ عائض بهذا الزحف فرَّ، وانسحبَ إلى حَجْلا، ولحقَت به خيالةُ الجيش السعوديِّ، فتراجعَ إلى أبها.

وتقدَّمَ الأميرُ فيصلٌ إلى أبها، وحينَ وصلَها غادَرها آلُ عائض وأنصارُهم، ودخلَها الجيشُ السعوديُّ دُونَ قتال.

وتوجَّهَ حسنُ بنُ عائض معَ أنصاره لحصنهم المنيع في جبل حَرْملة، وكانَ حصناً صعْبَ المُرْتَقَى لا يُوصَل إليه إلا من منافذَ معلومة لا يعرفُها غيرُ أهلها.

وفرَّ محمدُ بنُ عائض إلى القنفذة، ومنها سارَ إلى الحجاز يستنجدُ الحسينَ بنَ علي، فأنجدَه بحملة صغيرة يقودُها عبدُ الله بنُ حمزة الفعر، ومعهَا مئتان من الجنود النظامية وبعضُ المدافع والرشاشات بقيادة الملازم حمدي بك.

وبسطَ الأميرُ فيصلُ بنُ عبد العزيز الأمنَ والأمانَ، وسيَّر الركبان بأنَّ الأمرَ والسلطانَ في المنطقة كلها للملك عبد العزيز.

وعرفَ أنَّ آلَ عائض قسمان، فقسمٌ مُختبئٌ متحصِّنٌ، وآخرُ شاردٌ هاربٌ، يطلبُ النجدةَ، وينشُدُ المعونَةَ.

وقرَّرَ الأميرُ فيصلٌ إنهاءَ الأمر وحسْمَ التمرُّد، فأرسلَ إلى حسن بن عائض المتحصِّن السريةَ تلو الأخرَى، وعزمَ علَى تدمير الحصن

وإخلائه، ولهذا أرسلَ كتائبَ صلبةً هاجمَت الحصْن هجوماً شرساً، ودامَ القتالُ ستَّ ساعات تكبَّدَ الطرفان فيها خسائرَ كبيرةً.

وعرفَ آلُ عائض ضعفَهم، وأدركُوا حَرَجَهم؛ ولهذا تسلّلَ حسنُ ابنُ عائض معَ أفراد أسرته وبعض أنصاره إلى خارج الحصن، ونزلَ من الجبل عَن طريق لم يعرفْه المهاجمونَ.

وحينَ اقتحمَ المقاتلونَ السعوديونَ المعقلَ وجدُوه قد فَرّ، فهدموا ذلكَ القصرَ وكلَّ قصور آل عائض الموجودة في الجبل المذكور؛ كي لا يرجعُوا إليها مرةً أخرَى.

وعفَا الأميرُ فيصلٌ عن المستسلمينَ وأمَّنَهم.

وعرفَ بحملة الحسين بن علي التي جاءَتْ معَ محمد بن عائض، فأرسلَ سريةً تُناوشُها وتنسحبُ، وتستدرجُها إلى عقبات عسير.

وتقاربَت القواتُ، وتلاقَتْ علَى بضع مراحلَ من أبها، ودارتْ رحَى المعركة، وانتصرَ المهاجمونَ السعوديونَ، وأنزلُوا بأعدائهمْ

خسائرَ فادحةً. وفرَّ آلُ عائض.

وبعدَ هذه الانتصارات وهزيمة الجيش الحجازيِّ وفرار آل عائض وسيطَرة السعوديينَ على الإقليم عيَّنَ الأميرُ فيصلٌ سعدَ بنَ عفيصانَ أميراً لأبها، وأبقَى عندَه حاميةً مكونةً من خمسمائة رجل، ثمَّ عادَ إلى الرياض في ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ، أوائلَ ١٩٢٣م.

وبعدَ عودة الأمير فيصل وإحكام السيطَرة السعوديَّة على المنطقة قامَ آلُ عائض بمحاولة أخرَى بمساعَدة من الحسين بن عليّ.

فقد رتَّبوا معَ أنصارهم في منطقة عَسير، وجاؤُوا على عَجَلٍ، وحاصرُوا الأميرَ السعوديَّ ابنَ عفيصانَ في أبها.

وكادتْ أبهَا تسقطُ في أيديهم لولا وصولُ النجدات السعوديَّة.

واستمَرَّ السِّجالُ بينَ الفريقَيْن، وتُوُفِّيَ الأميرُ السعوديُّ ابنُ عفيصانَ، وحلَّ محلّه في الإمارة عبدُ العزيز بنُ إبراهيمَ الذي امتازَ بالدَّهاء والحزْم، وتمكَّنَ من القضَاء على آل عائض، حيثُ فاوضَهم

واسترضَاهم، وأرسلَهم إلى الرياض ومعَهم الأميران حسنُ ومحمدُ آل عائض.

ولقد عفَا الملكُ عبدُ العزيز عنهم، وأبقاهُم في الرياض معزَّزينَ مُكْرَمينَ.

إنه - رحمَه الله - بطلٌ في مواقفه؛ فللمرَّة الثانية يعفُو ويتجاوزُ. وهذه أخلاقُه، العفوُ والتسامحُ؛ فهوَ الحاكمُ بشرع الله، المتبعُ قول رسول الله ﷺ: ما زادَ اللهُ عبدًا بعفو إلا عِزًّا.

وهذه هي أخلاق الملوك، وتلك هي سجايا العظماء. يقول المهلب ابنُ أبي صفرةَ: خيرُ مَناقب المُلوك العفوُ.

ولقد انتهَى اضطرابُ ذلكَ الإقليم، وهدأتْ أمورُه، وثبتَ الحكمُ السعوديُّ هناكَ، وسادَ الأمنُ، وعمَّ الخيرُ، وأصبحَ جزءاً ومنطقةً من مناطق المملكة العربية السعودية.

يقولُ سليمانُ شفيق كمالي باشَا، الوالي التركيُّ في عسير إبّانَ

سيطَرة الأتراك علَيها، وذلكَ في مذكرات نُشرَتْ لَه:

«. . . إن عسيرَ مفتاحٌ وثيقٌ للحرمين الشريفين. . .

وقد انتبهَ إلى هذا السرِّ الدقيق ابنُ سعود سلطانُ نجد، فقبلَ أنْ يتعرَّضَ لأمر الحجاز حرصَ على أنْ تكونَ عسيرُ في يده، فتمكَّنَ من بَسْط سلطانه على جبالها وتهائمها.

وفي استطاعته اليومَ أن يجرِّد منها مائةَ ألف مقاتل مدرَّبين علَى استعمال السلاح، ومجرَّبينَ في الحروب ومقتضياتها، ومرتاضين على مشاقِّ الأسفار.

ولهذه الحكمة الدقيقة مدَّ الشريفُ حسينٌ، ملكُ الحجاز السابق عينَيْه إلى عسير منذ عام ١٩٠٨م، متذرِّعاً بالاستعانة بنفوذ الدولة العثمانية، وجعلَ لنفسه علاقةً بها.

ولما جلتْ عنها الجنودُ العثمانيةُ عقبَ الحرب العظمَى بحُكم شروط الهُدنة بادرَ هو إلى وَضع يده عليها بصفته ملكَ الحجاز.

غيرَ أنَّ السلطانَ ابنَ سعود كانَ مستيقظاً لمَراميه، فاستعملَ السطوةَ والحكمةَ معاً في التفوُّق عليه، حتَّى صارتْ أبهَا عاصمةُ عسير وكلُّ ما جاورَها وتبعَها من بلاد عسير منضويةً تحتَ لوائه، وأخيراً وصل حكمُه إلى سَيف البحر في القُنفذة.

وهذا الفوزُ العظيمُ الذي حصلَ عليه السلطانُ ابنُ سعود في مثل لَمْح البصَر من السرعة لا يجوزُ أن يُحمَل على قوة السَيف وحدَها.

فإنَّ مَن يظُنُّ ذلكَ يدلُّ علَى سذاجة متناهية وضَعف في التفكير وبُعد عن إدراك الحقائق.

إنَّ من طبيعة البشَر عامةً وسُكان جَزيرة العَرب خاصةً أن يقيمُوا وزناً عظيماً لمَن كانَ صادقاً في قوله، موثوقاً بعمله. والناسُ لا يُذعنونَ للضرب والبطش فقط، بل ينقادونَ أكثرَ من ذلك لما فيه حفظُ مصالحهم البشريَّة المشروعَة، ولما يرجونَ أن يُحيُوا به حقوقَهم الضائعةَ».

لقد أجادَ هذا الوالي التركيُّ الوصفَ للمَلك العادل الذي حفظَ الحقوقَ، ونشرَ الأمنَ، وحكمَ بالشريعة الإسلامية الطاهرة.

فجزاهُ اللهُ عَن كلِّ أفعاله خيرَ الجزاء وأوفاه، وأمطرَ عليه شآبيبَ رحمته.

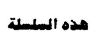
وبعدَ أن أحكمَ البطلُ السيطرةَ علَى هذا الإقليم التفتَ إلى مهمَّة أخرَى، سنتناولُها في القصَّة القادمة «الشمال الجامح».



المؤلف في سطور

* د. عبد العزيز بن عبدالرحمن الثنيان
* من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٦٩هـ.
* حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٤٠١هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.
* عمل معلماً لمدة عامين.
* انتقل الى جهاز وزارة المعارف، وعمل في الإدارة العامة للأبحاث والمناهج.
* عمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الرياض، ولمدة عشر سنوات.
* عمل وكيلاً لوزارة المعارف، ولمدة سبع سنوات حتى تقاعده المبكر عام ١٤١٩هـ.
* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللجان، وله بعض المحاضرات والأبحاث في مجالات التربية والتعليم.
* من مؤلفاته التي صدرت:
  * الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.
  * عمرو بن معديكرب الزبيدي (حياته وشعره).
  * بوح الذاكرة (الجزء الأول).
  * بطولة ملك (اثني عشر جزءاً).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثاني).
* مؤلفات تحت الطبع:
  * إنسانية ملك (ثلاثة أجزاء).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثالث).





هذه السلسلة

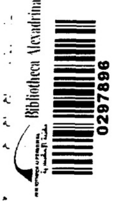
حكاية بطولة، وملحمة فتوة، ورواية عظمة، للكيان الشامخ المملكة العربية السعودية.

إنها قصة ملك عظيم، أمضى زهرة عمره فوق ظهر حصانه، يُوحد ويجمع، يلم ويبني.

إنها مجموعة متوالية تحكي للشباب التاريخ الحافل بالبطولات، والماضي المتوهج بالتضحيات وكيف توحدت المملكة، وصارت هذه الدولة.

إنها من اثنتي عشرة قصة مُتسلسلة

١ الفُتُوَّةُ والزَّعَامَةُ. ٢ الاقتحامُ والاستِرْدَادُ.
٣ التَّحَدّي والمُنَازَلة. ٤ تَحَالُفُ الخُصُوم.
٥ - السَّاحِلُ الشَّرْقِيُّ. ٦ - مُحَايِدٌ ومُحَارِبٌ.
٧ - مَعْرَكَةٌ تلدُ. ٨ ...
٩ - الشَّمالُ الجامِحُ. ١٠ ...
١١ - العَرُوسُ والمَهْرُ. ١٢ ...



هذا وقد قامت الأمانة العا... ...ة
عام على تأسيس المملك... ...ة
بتحكيم الكتاب وتقويمه ...٨
الأولى.

كما نال الكتاب جائزة حائ... ...م
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

ردمك: ٠ - ٤٧٩ - ٢٠ - ٩٩٦٠
99042406000257